كلمة الأستاذ الدكتور

أتيليو مسري

الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية

للطب (أمراض شرايين القلب التاجية)

لعام 1412 هـ /1992 م

صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد،

نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني

أصحاب السمو

الضيوف الأكارم

إنه لشرف كبير أن أنال هذه الجائزة. وأود أن أقدم خالص شكري لأعضاء لجنة الاختيار الذين اختاروني لها من بين عديد من المرشحين المتميزين.

إن جائزة الملك فيصل العالمية هي أعظم تشريف أناله، وهي اليوم تأتي في مرحلة بالغة الأهمية من حياتي المهنية، ذلك أني انتقلت أخيرا إلى روما بعد أن قضيت في لندن اثنتي عشرة سنة حافلة عملت خلالها بالبحث والتدريس بكلية الطب العليا الملكية (RPMS). وأنا الآن بصدد إقامة معهد لدراسات أمراض القلب أمارس فيه العلاج والبحث والتدريس وفق مبادئ كونتها خلال ثلاثين السنة الماضية. أريد في هذا المعهد أن تكون العناية الطبية بالمريض ومشكلاته الفردية، لا بالمرض. أريد في هذا المعهد أن توجه البحوث إلى حيث تساعد في حل المشكلات العيادية التي يواجهها كل مريض على حدة، لا أن يجري البحث وفق الأساليب التقليدية. أريد في هذا المعهد أن أوجه التدريس بحيث يعد أطباء يتسمون بسمتين مترابطتين هما أنهم مختصون وأطباء أسرة في آن واحد.

اسمحوا لي أن أقدم استعراضا "فلسفيا" مختصرا لإنجازات الفرق التي عملت معها، في بيزا بإيطاليا أولا ثم لندن بإنكترا فيما بعد. وهي الإنجازات التي حملتني إلى حيث تشرفونني اليوم بهذه الجائزة. وما كان لتلك الإنجازات أن تتم لولا عدد من العناصر التي توافقت فقادت إليها.

أول تلك العناصر فضول في نفسي لفهم السبب الذي يجعل عرضا ما أو مرضا ما يظهر في شخص ما في فترة معينة من عمره. خلال دراستي في كلية الطب ثم بعد تخرجي منها انكببت على المراجع الطبية أقرأها لعلي أجد فيها أجوبة شافية لأسئلتي.

والعنصر الثاني كان أساتذتي في بيزا ونيويورك وبولتيمور الذين علموني كيف أفسر ما أقرأ من الكتب والمقالات العلمية تفسيرا ناقدا، وعلموني كيف أنشئ المشاريع البحثية.

أما العنصر الثالث فكان زملاء العمل في بيزا وفي لندن بحماسهم وكفاءتهم وإخلاصهم. وأخيرا، وليس آخرا، ما كان شيء من ذلك كله ليتم لولا ما أجده من أسرتي من الفهم والمحبة.

في أوائل السبعينيات بدأت المرحلة الأولى من بحوثي حول أمراض القلب الناتجة عن قصور جريان الدم في الشرايين. وكنت وقتها متشبعا بما سبق لي تعلمه من المراجع المتخصصة، فكان حلمي أن أطور وسائل لتصوير تدفق الدم إلى عضلة القلب، وذلك من أجل أن أكتشف أي انسدادات موجودة في الشريان التاجي. كان الرأي السائد بين المختصين في تلك الفترة هو أن العوائق الصلبة أو ما يسمى بالتصلب العصيدي هي العامل الوحيد الذي يسبب انسداد الشريان التاجي وبالتالي يحول دون جريان الدم في عضلة القلب فيسبب الذبحة الصدرية. غير انه سرعان ما بدأت هذه النظرية تتغير عندما أجريت ملاحظات عيادية لمرضى يعانون من الذبحة الصدرية لغير ما سبب واضح بل ممن يتمرنون بدون الإحساس بأي مشقة. أثارت حالة هؤلاء المرضى اهتمام المختصين فأجريت حول الموضوع عدة دراسات استخدمت فيها تقنيات حديثة للمتابعة مثل استخدام النظائر المشعة وتصوير الأوعية الدموية، وقد أظهرت تلك الدراسات بما لا يقبل الشك دور انقباضات الشرايين التاجية المؤقتة في هذه الظاهرة ثم أظهرت دراسات أخرى أجريت فيما بعد في بيزا وبعدها في إنكلترا، أظهرت أسبابا أخرى تؤدي إلى إعاقة ارواء عضلة القلب مثل زيادة حدة

الانسدادات التاجية بسبب التغيرات في توتر العضلات الشريانية، والتخثر المؤقت، وضيق التفرعات الصغيرة للشرايين التاجية القاضية.

كل تلك أسباب لعرض واحد، هو البحة الصدرية. لكن كلا من تلك الأسباب يحتاج علاجا مختلفا. في الآونة الأخيرة أجريت سلسلة من الدراسات في لندن بنيت أن سبب احتشاء عضلة القلب (أي النوبة القلبية) يختلف عما درسته في الكتب المرجعية، إذ بنيت هذه الدراسات أن النوبة القلبية لا تحدث بالضرورة من نشوء عائق تدريجي يتنامى حتى يكبر فيسد أحد الشرايين التاجية الكبرى، بل إن النوبة القلبية قد تحدث بصورة مفاجئة عند وجود عائق متوسط الحجم أو صغير أو حتى من الضآلة بحيث لا يذكر، كما أن غالبية المرضى قد يكون لديهم عوائق حرجة في الشرايين سنين كثيرة دون أن يصابوا بالنوبة القلبية.

إن فهم هذا اللغز هو التحدي الذي نواجهه الآن، وهو ما عقدنا العزم على دراسته في روما. أريد أن أمزج مناهج البحث العيادي التي طورتها في الماضي بتقنيات علم الأحياء الجزيئي، وهي تقنيات جديدة علي ولكنها ستكون أقوى المهارات لدى زملاء العمل الذين أقوم حاليا بتوظيفهم لمواجهة هذا التحدي الجديد.

أؤمن بأن جائزة الملك فيصل العالمية ليست تشريفا شخصيا لي وحسب، بل إنها تبرهن بوضوح على أنه لا يوجد حدود في مجال البحث العلمي. وحصولي على هذه الجائزة تشجيع عظيم لي ان أستمر في بحوثي وهي كذلك مثال رائع يحتذيه الشباب.

أريد أن أقدم شكري الخاص للأمانة العامة لجائزة الملك فيصل العالمية وكذلك للجنة الاختيار، كما أريد أن أعبر لمؤسسة الملك فيصل الخيرية عن تقديري لكرمها وبعد نظرها في إقامة هذه الجائزة العظيمة.